

نبذة السهام

عمر بن الخطاب

بينما كان عمر بن الخطاب يحج في خلافته ذات عام مرّ بجبل يقال له « ضجنان » على بريد^٢ من مكة في طريق عرفات ، فوثبت إلى خاطره ذكرى شقاء أليم كان قد ألم به من سياط أبيه ، فوقف يتأمل المكان والذكرى ويسترسل في تأمله ويمدّ نظره إلى الوادي ويرجع به إلى القمة ، حتى إذا استمكن قال : لا إله إلا الله العظيم ، المعطي من شاء ما شاء ، كنت في هذا الوادي في مدرعة صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فظاً ، يتعبنى إذا عملت ، ويضربني إذا قصرت ، وقد أمسيت الليلة وليس بيني وبين الله أحد !

وقف عمر هكذا يتأمل ويتذكر ويقول ذلك القول ليُشهد الناس على ما كان من حاله في أَسْر الشقاء طفلاً وصديقاً يلهب أبوه

(١) النبع شجر للقسى والسهم ينبت في قم الجبال.

(٢) البريد فرسخان أو اثنا عشر ميلاً — معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٦

الخطاب جلده بسوطه ليرعى الابل في منأى عن مكة ، وكان عليه ألا يقصر ، بل عليه ألا يستريح . ثم نظر عمر وهو يعيد بصره من حضيض الوادي ويصعده الى قمة الجبل فاذا هو قد ارتفع خليفة على الناس وصعد فوقهم جميعاً كما صعدت قمة « ضجنان » وأشرفت في عزة وعلو على حضيض الوادي . وارتمى في خاطر عمر منظران قد تباينا ، ودارت فيه على عجل خيالات حزن وعجب ، فشهد بما كان فيه من شقاء الطفولة وظلمة الشرك ، ثم عجب لما أصابه من النعيم حين أسلم فصار على رؤوس الامكنة وفوق هامات الناس وليس بينه وبين الله احد .

ولم ينكر عمر بن الخطاب فضل ابيه الخطاب حين ذكره بالقسوة ، ولكنه أشار الى يده عليه حيث ألهم فيه - منذ كان طفلاً وصديقاً يرعى له ابله - جذوة إحساسه وهيج حدته حين أتعبه في العمل وأمضه وأوجعه ولم يمهّد لجنبه ليسترىح ، فشب الراعي الصغير حمياً متحمساً ذا حدة وسطوة يحسن رعاية الابل ويلين قيادها ، ويصبر على عيش البادية متمدرعاً في صوف في مكان قصي عند وادي « ضجنان » .

فلما نقل الاسلام عمر من الظلمات الى النور ، وصعد عمر به الى حكم الناس وجدّ العرب كالابل الآنفة^٣ ، تتبّع قائدّها ، وعليه أن ينظر أين يقودها ؟ وظلّت في عمر من سياط ابيه فزعة من القسوة وبقية من الحدة في صبر لا ينفد وجهه لا يمل ورأي لا يتردد ، وكأنما تحول فيه هيج الحدة وخوف العقوبة الى طبع

(٣) الجمل الآنف الذي وضعت في أنفه البرة وحلقة الحديد فاشتكى أنفه منها .

دافع بحته على العدل والمضيّ والتنفيذ ، فلما صار إليه أمر الناس
رحم فأطمع وقسًا فزجر ، وفيما بين الرحمة والقسوة ساق الناس
سوق الابل ورعاهم رعيتهما فاستطاع ان يحملهم على الطريق .

ارواد عمر

وتدلى هذا العرق والميراث من عمر بن الخطاب في قوة بيّنة
إلى أولاده ، وكانت له فيهم مظاهر تختلف وتباين ، غير انها
كانت كلها تنحرف نحو الحدة وتنطبع بطابع عمريّ ، فاذا اراد
بنو عمر شيئاً أقدموا واقتحموا فلم تمنعهم قوة ولم تكسرهم مخافة ،
وإذا امتنعوا عن شيء صدّوا عن طبع وأمسكوا دون اصطناع
حيلة . وحين حرّم عليهم أبوهم أن يكونوا خلفاء تجافت عن الخلافة
جنوبهم وغضّت عن لمعتها قلوبهم وأبصارهم ، وامتنعوا عن اقتناع
كأنه طبع في العرق ودم من الميراث ورثوه من هيبة نفس ابيهم
إلى الخير والعدل في حماسة واندفاع . ولم يكن هذا المظهر من
أولاد عمر إلا دلالة على الحدة الموروثة بدت في لون سلبيّ وصوت
ساكت ، وكانت الدلالة أتم صمتاً وأسكّن حركة في ابنه عاصم
ابن عمر بن الخطاب .

عاصم بن عمر

وكانت مرّت سنون خمس على موت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ولد عاصم بن عمر بالمدينة ، فلم يقدر له أن يكون حجابياً
والكنه سمع حديث النبي من أبيه فرواه عنه . فلما شبّ وأيقع
انتظم في جند إفريقية تحت راية عبد الله بن أبي سرح ، ودخل

اليها مجاهداً فاتحاً سنة سبع وعشرين ، فلما أدى ما كتب عليه من القتال وما تطوع له من النصره رجع إلى أهله بالمدينة وأقام بها .^٤ وتعاضم عاصم بن عمر عن العبث كله في حياته ، ولم ير الناس أحداً منهم إلا أنه تكلم ببعض ما يريد غير عاصم ، فقد كان نزر الكلام من حياء وعفة وحب للمسالمة وإيثار للخير ، فإذا حدث بينه وبين أحد شيء وخاف عاصم أن يجتدم الغضب وتشتد الخصومة ترك مجلسه وطرح حجته حتى تهدأ الثائرة ، ثم يعود إن رأى أن يعود . وورث أبناؤه منه خالص صفاته تلك ، فأطفأوا في نفوسهم نثار الغضب ، وبرّوا عنهم نيران الأحقاد .

وقد رووا أنه حدث بين عاصم وبين رجل من قريش كلام في أرض قد تنازعا فيها : فجعل القرشي يغالي في خصومته حتى تهدد عاصماً قائلاً له : ان كنت صادقاً فادخلها ! فقال له عاصم : أو قد يبلغ بك الغضب كل هذا ؟ هي لك ! فاستحيا القرشي من قوله وقال له : بل هي لك ! فتركها جميعاً لم يأخذها واحد منهما حتى ماتا ، ولم يتعرض لها أولادهما ، وبقيت طليقاً حلالاً للفقراء والمساكين .^٥

فتاة بنى همدان

وجرى القدر لعاصم بحظ حسن فكان زواجه — حين أراد أن

(٤) قيل انه مات بين خلافة يزيد وخلافة عبد الملك بن مروان ، فقيل انه مات سنة ٦٣ وقيل سنة ٧٠ أي انه مات بعد مولد عمر بن عبدالعزيز وفي طفولته — رياض النفوس ج ١ ص ٨٩ — النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٨٥ — شذرات الذهب ج ١ ص ٧٧ .

(٥) رياض النفوس ج ١ ص ٧٧

يتزوج - الى فتاة من بني هلال ، كانت ذات وعي وفهم وحكمة
وتدين ، زوجه لها أبوه عمر بن الخطاب . وقد كان عمر يريد هو
أن يتزوج منها لولا أنه كبير ولم تبق فيه رغبة ، لأنه رآها أحق
النساء بان ترتفع من خيمتها في حواشي المدينة الى بيوت الخلفاء .

فبينما كان عمر يعُسّ في حواشي المدينة وهو خليفة أصابه
الاعياء فاتكأ على جانب جدار ، فاذا امرأة تقول لفتاة لها - وقد
أمنت من يسمع قولها - : قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء .

فقلت الفتاة : أو ما علمت بما كان من عزيمة أمير المؤمنين اليوم؟

قالت المرأة : وما كان من عزمته ؟

قالت : انه أمر مناديه فنادى ألا يشاب اللبن بالماء .

قالت المرأة : قومي الى اللبن فامدقيه ، فانك بموضع لا يراك

عمر ولا مناديه .

فقلت الصبية : والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه

في الخلاء !

وطارت المقالة الى سمع عمر فعجب لما دار فيها ، وكان عجبه

أشدّ لرعي فتاة فقيرة من وراء الخيام تستجيب لنداء الخير من

غير تردد . ولم يحفّ حلق المنادي من ندائه بالأمر على الناس ،

وهي في أشد الحاجة لمذق اللبن ليكثر فيكثر الربح ، ولم يكن

عمر يعلم أن تلك التي تحضها على المذق أمّها ، ولو علم لذهب في

تعجبه أكثر بما ذهب ، لأن الفتاة تغضب أمّها من حيث لا ينالها

من رضا الخليفة شيء ، ومن يعلمه بأمرها ، وهو منها رفيع الشأن

عالٍ بعيد ؟

وودَّ عمر من فوره لو تزوّج هو نفسه هذه الفتاة ، وإنها
 حلّيقة ان تكون له زوجا، إلا انه كبر وعلت سنّه وفاتته الرغبة
 والميل . وكان معه مولاه « أُسَلِّم » فقال له بصوت خافت
 لا يُسمع في الخيمة : يا أُسَلِّم ، علّم الباب واعرف الموضع ، ثم
 مضى في عسسه . فلما أصبح قال : يا أُسَلِّم ، امض الى ذلك الموضع
 فانظر من القائلة ومن المقول لها ، وهل لهما من بعل ؟

قال أُسَلِّم : فأتيت الموضع فنظرت ، فاذا الفتاة أيم لا بعل
 لها ، واذا نيك أمها واذا ليس لهما رجل ، وكانت امرأة من بني
 هلال ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فدعا ولده جميعا فقال : هل
 فيكم من يحتاج الى امرأة أزوجه ؟ ولو كان بأبيكم ميل ما سبقه
 احد منكم الى هذه الجارية ! فقال له عاصم ابنه : يا أبت ، إنه
 لا زوجة لي فزوجني ، فقال له : اذهب يا بنيّ فتزوجها ، فما أحرأها
 أن تأتي بفارس يسود العرب ! فذهب عاصم فتزوجها ٦ .

ام عاصم

ولكن الفتاة الهلالية ذات الانقياد والطاعة لم تلد لعاصم
 ذكراً ، وإنما ولدت أنثى ، وليس الذكر كالأنثى ، فلما ولدتها
 أسمها « أم عاصم » . ونبتت أم عاصم نباتاً حسناً ، وتعلمت حين
 شبت رواية الحديث عن أبيها عن جدها ، وأثرَ عنها بما روته من
 الحديث « نعم الادم الحل ! » ٧ ، وكأثما اصطبغت أم عاصم

(٦) ابن الجوزي ص ٦٥ - ابن عبد الحكم ص ١٧ - شذرات الذهب

ج ١ ص ١١٩

(٧) الاغانى ج ٨ ص ١٥٥

بصبغة بيت عمر فاتجهت نحو التقشف والزهد ، فكان هذا الحديث أشهر ما أثرانها روثه ، ولم يكن في بيت عمر بن الخطاب ما هو أعظم من العبادة والزهد ولا أكثر دورانا في الكلام من الحديث عن الخلّ والزيت !

ثم بدرت من أم عاصم حين كانت صبية وزوجة بوادر من المروءة والبرّ ، وهزتها فَعَلَّات الكرم والمودّة ، وحدثوا عنها أنها يوم مرت بأبيلة^٨ وهي في طريقها الى زوجها عبد العزيز بن مروان والى مصر جاءها رجل معتوه فقدم إليها هدية فقبلتها منه وأثابته عليها فرضي . فلما ماتت أم عاصم وتزوج عبد العزيز بأختها حفصة ومرت بأبيلة تريد مصر في طريق أختها جاءها المعتوه نفسه فأهدى إليها فلم تثبه كما فعلت أختها من قبل ، فغضب المعتوه وقال : لبيست حفصة من رجال أم عاصم ! فذهبت قولة المعتوه مثلا مضروباً شروداً^٩ .

عبد العزيز بن مروان

وكانت نشأت في الأروم الأموية فروع^{١٠} قد طابت ومالت عن السرف ورغبت في القصد ، وكانت هذه الفروع - وهي ترف في ثياب من العز وأبهة الملك - ذات جوهر يجري مع الصفاء . وكان من بين هذه الفروع ذات النضرة عبد العزيز بن مروان : نشأ في المدينة فطبّته على خيرها وروى عن بعض رجالها الحديث كأبي هريرة وغيره^{١٠} ، فلما رحل الى مصر وتولى أمرها

(٨) أبيلة حين تنتهي أرض الحجاز وتبدأ الشام: معجم البلدان ج ١ ص ٣٩١

(٩) الأغاني ج ٨ ص ١٤٦

(١٠) شذرات الذهب ج ١ ص ٩٥

خالط قلبه الحشية لركة أهلها وحسن طاعتهم ، وحين ابتعد عن أهله مال نحو العفة وقصد الاعتدال .

ورق ذوق عبد العزيز ، وبلغ من الترف حداً رفيعاً ، وتأثر بما رأى في الشام ومصر من الدور والأبنية والآثار ، فجعل يسابق الخلفاء والأمراء من أهله في البناء وإعلاء الجدران وضرب الدنانير ، ثم جعل يتخير الأمكنة لسكناه ، ويشترى عشرات من الدور يزخرفها وينجدها ثم يهبها لأولاده ١١ . فلما عصف طاعون الجارف بأهل مصر القديمة (فسطاط عمرو) تحول عبد العزيز إلى مكان طيب الهواء قد استحسن موضعه فاشتراه من قبض مصر بعشرة آلاف دينار ، واختط به مدينة حلوان ، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل ، ثم بنى داره بها وزخرفها وموّهها بالذهب ووضع قريباً منها مقياس -لوان ١٢ . وطالت الأبهة بعبد العزيز وامتدت مفخرته فبنى دار الاضياف ١٣ وضرب حولها قباب الجود وادار فيها الموائد ودعا الى طعامه ، فكثرت بداره الضيفان وكثر رماد النار ، اذ كان له في كل يوم الف جفنة من الف قدر لقرى الناس .

كل يوم كأنه عيد اضحى عند عبد العزيز او يوم فطر
وله الف جفنة متوعات كل يوم يدها الف قدر ١٤

(١١) انظر باب « ذكر المخطط » في فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم

(١٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٨٥

(١٣) فتوح مصر واخبارها ص ١٣٣

(١٤) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٢٦

وكما كان عبد العزيز بن مروان كثير قرى الضيفان كان جواداً على أصحابه الذين وفدوا عليه من المدينة والحجاز فبنى لهم الدور وغرس لهم النخيل في حلوان وجيزة الفسطاط ١٥ ، وكان يرد على الجليل الذي يوهب له بما ليس في حسابان احد ، وكان مع ذلك كله على نية طيبة وناحية من الورع ، يميز الحبيث من الطيب ، ويفرق بين الحلال والحرام ، فحين أراد ان يتزوج اراد ذات عرق ، فان العرق دساس ، واراد الا يتزوج من حسناء في منبت سوء كما فعل بعض اهله من بني مروان ، ثم رأى أن يكون مهر زوجته من أنقى ماله الحلال وأبعده عن الشك ، فقد كان بعض ماله مختلطاً مجلوباً من المظالم ، ولعرفانه به وخوفه منه قال لقيمه : اجمع لي اربعمائة دينار من طيب مالي فأني اريد ان اتزوج الى اهل بيت لهم صلاح ، فجمع له قيمه ما اراد ، فتزوج به ام عاصم ١٦ . وفرح عبد العزيز وفرح اهله بهذا الزواج فرحاً عظيماً ، وأقبلوا عليه بالمنح والهدايا حتى انهم ليقولون انهم أوقدوا المصابيح ليلة زواجه بطيب الغالية بدل الزيت .

عمر بن عبد العزيز

وكانت قاتت مظنة عمر بن الخطاب وبشارته لابنه عاصم حين لم تلد الهلالية ذكراً ، وولدت انثى ، ثم رجعت بشاره عمر فتاهت مرة اخرى حين تزوجت ام عاصم عبد العزيز بن مروان وولدت له اشقاء اربعة : ابا بكر وعمر ومحمدا وعاصما ، ولكن مواريث

(١٥) فتوح مصر وأخبارها ص ١٠٣

(١٦) صفة الصفوة ج ٢ ص ٦٣

الأبوين اخذت تجتمع في عمر اكثر مما تجتمع في اخوته ، فورث منها صفاتٍ تتفق وتختلف : ورث منها معاً جوهر التقوى وحب المروءة والميل الى الانصاف . وورث من ابيه خاصة ذوقه الرفيع وادراكه الدقيق . وورث من امه خاصة حدتها وحماستها ولسنها وقصدها في الكلام .

فانه حين استتوت حدة عمر بن الخطاب في ابنه عاصم عادت فظهرت في حفيدته ام عاصم ، فلم تكن تدع امرأً يهيجها إلا اهتمت له ، ولم تترك غلطة ولا هفوة الا حاسبت عليها حساباً عسيراً . ولو كان المخطيء زوجها لم تعفه ولو كان هذا الزوج والياً واقفاً على رؤوس الناس .

وارسل عبد العزيز بن مروان والي مصر الى زوجته ام عاصم - وكانت في زورة لأهلها بالمدينة - ان تقدم عليه بجلوان مصر ومعها ابنها عمر ، فأخبرت عمها عبد الله بن عمر بن الخطاب بما رغب فيه زوجها ، فطلب اليها ان تلي فتسافر ، وتبقي ابنها عمر بالمدينة لينشأ ويعلم ، وقد صار آل الخطاب حوله يتعشقونه وينعطفون عليه بالحببة والترضية ، لأنه وُلِدَ أكثر الناس شبهها بأبيهم عمر ، فخلفته ام عاصم كما اراد عمها ، وقصدت مصر وحدها تريد حلوان .

فلما قدمت ولم يكن معها ابنها سألتها عبد العزيز عنه فأخبرته ، فسر لبقائه بالمدينة في عطف اخواله آل الخطاب الذين آثرهم فتزوج منهم . وكانت وراء هذه الفرحة الظاهرة فرحة اخرى ابلغ منها ، فان بني امية كانوا يتوددون لآل الخطاب ويرجون

رضاهم عسى ان يؤثر ذلك في اهل المدينة فيرضوا لمكان آل الخطاب فيهم . ورأى عبد العزيز من فوره ان يوظف لابنه من يخدمه ومن يعلمه هناك ، ثم اسرع فكتب بما علم وعمل الى اخيه عبد الملك الخليفة في دمشق ، فانطلقت نفس عبد الملك ، وفرح لهذه البادرة التي تقربه من المدينة باتصال حبله بآل الخطاب ، واجرى على ابن اخيه في كل شهر من مال الفيء الف دينار .

نشأة عمر

ونشئ عمر بن عبد العزيز في المدينة في مطارف النعمة ومبازل الجود ، ولجّت به نعمة أعمامه وحنان أخواله فمشى في الأرض وكأنما يكون لنفسه طبقة وحده ، هي بين السادة من أهل المدينة وبين السادة من أمراء دمشق ، غير ان مظاهره كلها كانت تميل إلى أن تكون صنعة أموية من أن تكون مطبوعة بطابع آل الخطاب .

شبّ عمر أبيض جميلا حسن اللون دقيق الوجه متمليء الجسم ريان لا يصرف الرأي عنه بصره إذا رآه ١٧ ، فاذا ادّهن بالطيب عصفت في طريقه رائحة طيبة فتشم من بعد ، فاذا جاوز الطريق بقيت رائحته مستقرة في المكان الذي يمرّ به ، وقد يتطيب بالعنبر فتبتل يده به ، فاذا طبع بخاتمه طينة الكتاب ورقعة القرطاس اتّسخت الطينة من العنبر ١٨ . وينتظر الناس ثيابه بباب الفسّال

(١٧) ابن عبد الحكم ص ٥٣ - شذرات الذهب ج ١ ص ١١٩ - ابن

الجوزي ص ١٤٦

(١٨) ابن عبد الحكم ص ٢٢

فاذا ارسلها تسابق الناس اليه يعطونه دراهم كثيرة حتى يفسل ثيابهم في إثر ثيابه من كثرة ما حملت وما تترك في الماء من عنبر وطيب ١٩

وإذا مشى عمر راح متبختراً متكبراً يتصنع له مشية ، هي له وحده ، يخترعها بين الكبر والتبختر ، كأنها مشية الجارية إذا كعبت . وقد أعجبت مشيته تلك جوارى المدينة وكواعبها فأخذن يقلدن المشية العمرية ، ويسرن على خطتها وموازينها حتى يرشقن اذا سرن وتجمل رشاقتهن في العيون ٢٠

وأرخصى عمر شعره ورجله ، ولبس في إصبعه خاتماً له فصّ ثمين ، أعطاه اياه ابن عمه الوليد ، كان جاءه من ارض المغرب وفتوح افريقية ٢١ ، وارتدى أغلى الأزر ، ولبس أئمن الأردية ، حتى كان يشتري الأزار الواحد بمائة دينار ، ويشترى مطرف الخبز بمائتة درهم ، ويضع يده عليه يجسه فيستخشنه ولا يعجبه ، ويلبسه مكرهاً ، وصار الثوب لا يكون بالياً في نظره اذا بلي او مرّ عليه زمن طويل ، ولكنه صار يكون بالياً عنده متى لبسه فوَقعت عليه لأول لبسة أنظار الناس . وقد غلا عمر في ذلك وتمادى حتى أوشك ألا يعجبه ثوب ، وكاد يجعل ماله كله في زينة الأثواب ثم لا يقنع حتى قال ذات مرة : لقد خفت أن يعجز رزقي عن كسوتي ! وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليّ الا خيّل لي

(١٩) الأغاني ج ٥ ص ١٥٠ - صفة الصفوة ج ٢ ص ٦٧

(٢٠) ابن عبد الحكم ص ٢١

(٢١) ابن الجوزي ص ١١١

انه قد بلي ٢٢

وبدت على عمر مظاهر التكبر والتف الأُموي الصارخ ، فاذا سار لم يسر الا في جماعة من غلمانة وعُبدانه ، واذا دخل طرف ازاره الثمين في نعله جذب الازار فشقه ولا ينحني على نعله فيخلعها لينطلق الازار ، واذا سقط أحد شقي ردائه عن منكبه تكبر ان يرفعه ، واذا انقطعت نعله لم يعرج عليها ، فاذا لحقه بها احد من خدمه عنقه وردّها ٢٣ . وظل عمر هكذا يزيد مظاهره غلواً وتنادياً حتى رماه بالكبر كثير من الناس ٢٤

ولقد عاد عليه هذا الغلو بالخطأ والعقوبة ، فمذعني بترجيل شعره وتسكينه وهو مسرف في السكون الى مرتجلته لتم له جماله ، حتى تأخر مرة عن الصلاة ، وكان مؤدبه صالح بن كيسان ينتظره بباب المسجد ، فلما جاء بأخرة من الوقت سأله صالح عن سبب ابطائه ، فقال له : كانت مرتجلتي تسكن شعري ؛ فقال له : بلغ بك حبك تسكين شعرك ان تؤثره على الصلاة ؟ وكتب بذلك الى أبيه في مصر ، فأرسل عبد العزيز رسولاً الى المدينة لم يكلمه حتى حلق شعره ٢٥

ولم يملك عمر نفسه من ميراث الحدة الطاغية التي ورثها من امه و كأنما عادت فدوت في دماغه صرخة عمر بن الخطاب ، وكثيراً

(٢٢) ابن الجوزي ص ١٤٦

(٢٣) ابن الجوزي ص ١٥٠ — ابن عبد الحكم ص ٢١

(٢٤) ابن الجوزي ص ١٧٤

(٢٥) ابن الجوزي ص ٩

ما جرّته الى الزلل ، وقد خافه عبيده منها مخافة شديدة فأولوه طاعة عمياء ، وحين اجترأ عليه عبد له أسود وكان عمر في عنقوان حدائته أمسك عمر بتلابيبه وطرحه ، وجعل يضربه والعبد يستغيث ، وهو يثقل عليه بالضرب ، فتركه العبد يفعل . ثم رأى العبد أن يكسر فيه نخوة الحدّة ، فتربص لهدأة منه ذات يوم ثم قال له : هل جنيت جناية قط غضب بها عليك مولاك ؟

قال عمر : نعم .

فقال العبد : فهل عجلت عليك العقوبة ؟

قال : اللهم لا

قال : فلم تعجل عليّ ولم يعجل عليك ؟

فاستجيا عمر ، وعاودته الرقة ، وتركه قائلاً : قم فأنت حر

لوجه الله تعالى ! ٢٦

رؤيا صادقة

وقد كرّم آل الخطاب عمر بن عبد العزيز وانحنت عليه ضلوعهم مع ان عبد العزيز بن مروان كان له عشرة أولاد ، هم : أبو بكر وعمر ومحمد وعاصم ، وامهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب . والأصبع وسهل وسهيل والريان وأم الحكم وأم البنين وأمها تهم مختلفات ، بعضهم من أم عبدالله بنت عبدالله بن عمرو بن العاص وبعضهم من أم ولد اخرى رومية يقال لها مارية ٢٧ . فلعمري من ام عاصم أشقاء ثلاثة ، ولكن آل الخطاب أفردوا عمر

(٢٦) مروج الذهب ج ٢ ص ١٢١

(٢٧) فتوح مصر وأخبارها ص ١١٢

بالتكريم من بين أشقائه لأنه كان شبيه أبيهم ، ولأنهم رأوا فيه
مخايل أمل يكاد يتحقق تأويلاً لرؤيا كان رآها أبوهم عمر بن الخطاب ،
وكانت رؤيا يتمناها الناس أن تسرع فتولد ، فلما ولدت قويت
وصارت فماسة عرفت من الخلق والخلق والحركة والمزاج ، ثم
كانت كأنناً حياً ينبض في ذات عمر بن عبد العزيز .

كان ابن الخطاب قد رأى رؤيا ، فقام منها بمسح النوم عن
وجهه ويعرك عينيه ويقول : مَنْ هذا الذي يكون أشج من
ولدي ، ويسير بسيرتي ؟ ٢٨ ، ويقول : إن من ولدي رجلاً بوجهه
أثر يملأ الأرض عدلاً ٢٩ . وقد طوّفت هذه الرؤيا بعين ابن الخطاب
فتعجب لها ، لأنه كان قد أصرّ على حرمان ولده جميعاً من الخلافة ،
حتى من يكون كفتها لها منهم كابنه عبد الله . ولعل ابن الخطاب
ودّ ألا يرى - حتى في منامه - من يلي الخلافة من ولده أو
أحفاده . قد اشفق على أهله فلم يشأ أن يحمل أحد منهم إصراراً ،
ورجاء أن يخرجوا جميعاً من الدنيا ، قد حظوا منها بالكفاف
لا عليهم ولا لهم .

ولكن عمر برغم نفسه وأمانيه صدق الرؤيا . فلما قصّها على
أهله صدقها أهله ، وانتظروا تأويلها . ودأب عبد الله بن عمر يقول
قولة أبيه : ليت شعري ! من هذا الذي من ولد عمر في وجهه
علامة ، يملأ الأرض عدلاً ! ٣٠ . وانتقلت القولة من فم إلى فم ؛

(٢٨) ابن عبد الحكم ص ١٨

(٢٩) المعارف ص ١٥٨

(٣٠) ابن الجوزي ص ٧

ونشت في أولاد عمر وأنسابهم ، وفي بني أمية والناس ، وعرفها
الشيخ والصبي والطفل ، فانتظروا جميعاً الأشجّ الذي يحكم ،
وكانوا على ثقة من أن رؤيا عمر بن الخطاب لم تكن إلا حقاً وصدقاً .
وحتى الحجاج بن يوسف الثقفي وقف في المنتظرين المصدقين ٣١
ثم حان لعمر بن عبد العزيز أن يزور أباه في مصر وهو غلام ،
فارتحل إليه ، حتى اذا جاء حلوان انطلق يتدال ويتنقل كما شاء له
هو اه ليرى بحلوان مصر ما لم يرا بالمدينة . وخرج ذات يوم يتفرج
بما شاء ، واصطحب أخاً له غير شقيق هو « الأصبع » فأتيا معاً
اصطبل الخيل ، وبينما عمر يلعب بلا حذر ، ويمضي في غفلة من
وراء الخيل رحته بغلة ، فأصابت الرحمة جيده - وكانت شديدة -
فشجت رأسه ، فصاح الأصبع ضاحكاً حين رأى ما أصاب أخاه ،
وجعل يقول : الله أكبر ! هذا أشجّ بني مروان الذي يملك ! ٣٢
كان الدم يسيل من عمر ، وعمر يتألم ، والأصبع فرح يضحك
ويصيح ويكبر ثم يقول : هذا أشجّ بني مروان ! والأصبع
أموي ، ولكنه يرى أخاه أشبه ببني الخطاب منه ببني أمية ، بل
كان إخوة الأصبع وأهله جميعاً يرون ذلك ، وكانت لحاظهم ترمق
عمر وقلوبهم تطيف به كلما درج وخطا واتضحت فيه السمات ،
فلما رحته البغلة فشجته لم يملك الاصبغ أن صاح بما صاح به ،
وطغى شعوره عليه فاستعلن وصاح بما أيقن ضاحكاً مكبراً .
وبلغ الخبر دار الأمير فأسرعت ام عاصم الى ابنها وبلغت

(٣١) ابن عبد الحكم ص ١٤٢

(٣٢) المعارف ص ١٥٨ - ثمار القلوب ص ٨٨

مكانه في جماعة من خدمها قبل ان يبلغه أبوه ، وأقبلت عليه تضمه اليها وتمسح الدم عن وجهه ٣٣ ، ثم لم تسك عليها حديثها حين علمت ان الأصبع كان يضحك ، فأقبلت على زوجها تعذله وتلومه وتقول له في علانية حين جاء: أما الكبير فيُخدم ، وأما الصغير فيُكرم ، وأما الوسط فيضيع ! لم لا تتخذ لابني حاضناً حتى اصابه ما ترى ؟ وجعل عبد العزيز يغضي ويمسح الدم عن وجه ابنه وهو مغتاظ على الأصبع لما بلغه من ضحكه عند سقوط عمر ، وقال له : يسقط أخوك فتضحك سروراً منك بما اصابه ؟ فقال الأصبع : ليس ذلك أيها الأمير ! لم تضحكني شماتة به ، ولا سرور بسقوطه ، ولكني كنت ارى العلامات من أشج بني أمية مجتمعة فيه إلا الشجة ، فلما سقط وشج سرفي ذلك لتكامل العلامات فيه فأضحكني ، وهو والله أشج بني أمية ٣٤ ؛ فسكت عبد العزيز عن الأصبع وتأمل شجة عمر فمال الى زوجته أم عاصم يقول لها : ويحك ! انه أشج بني مروان ، وانه لسعيد ! ٣٥

وقيل لعمر منذ ذلك الحين : أشج بني مروان ، وأشج بني أمية ، وأشج قریش . وصار بهذه العلامة موضع الحسد من أمراء أمية واولاد عبد الملك خاصة ، ووقد قالوا إنه لما صار عمر غلاماً ادناه عبد الملك منه وجعل يؤثره ويرق له ، فاذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد ، فعاتبه احد ابنائه على ذلك ، فقال له : او ما تعلم لم فعلت ذلك ؟ قال : لا ، فقال عبد الملك : إنه

(٣٣) الطبري ج ٥ ص ٣١٩

(٣٤) ابن عبد الحكم ص ٢٠

(٣٥) ابن الجوزي ص ٧ - الاغانى ج ٨ ص ١٤٩ - ابن عبد الحكم ص ١٩

سبيلي الخلافة يوماً ، وهو أشجّ بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً
بعد أن تملأ جوراً ، فما لي لا أحبه ولا أدنيه ! ٣٦

الجوهر السليم

ولكنّ أمة عمر ومظهره لم يكن لهما كل الطغيان على جوهره
وقلبه ، فان قلبه - منذ طفولته - كان معلقاً بأخواله اولاد عمر
ابن الخطاب ، يحبهم ويتوسم طريقهم ويتمنى لو أصبح مثلهم .
يرى فيهم القدوة الصالحة والمثل الكامل . وكانت اذا زار
خاله عبد الله ثم رجع من عنده وجع وقلبه مشغول به ،
فيقول لأمه : يا أمه ، أحب ان اكون مثل خالي عبد الله ، فتوقف
به امه ، وتستكثر عليه هواه ، وتقول له : اغرب اغرب ! انت
تكون مثل خالك ؟ تقول ذلك وتكرره له ٣٧ . ولم تكن أم
عاصم مخطئة فيما توقف وتستكثر ، فان عبد الله بن عمر كان اعظم
آل الخطاب بعد ابيه ، وما من احد الا مالت به الدنيا ومال بها
ما خلا عمر وابنه عبد الله ، ولم يعلق قلب رجل بالعبادة والخير كما
علق قلب عبد الله حتى قال سعيد بن المسيب : لو شهدت لاحد
انه من اهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر ٣٨ .

وكذلك استتر وراء مشية الخيلاء والتبختر ونخايل الأنفة
والكبر جوهر سليم ، واختبأ وراء حجاب خفيف ، فقد كان عمر -
مع حدته على بعض غلماناه حين يخطئون - سهل الحجاب على

(٣٦) الاغانى ج ٨ ص ١٤٦

(٣٧) ابن عبد الحكم ص ١٩

(٣٨) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٣٤

اخوانه ، كريم المودة لهم ، ينتقي بعروفه اهل الحاجة منهم .
ولم يكن بينه وبين الغلمان الذين هم مثله ما يفرق بينه وبينهم او
يفضاه عليهم ، فتنازلوا منه ما يتناول الأخ من اخيه الذي لا
سلطان له عليه ٣٩ .

علم عمر

ثم اقبل عمر منذ رجوع الى المدينة بعد شجته على حفظ القرآن ٤٠
وعلى دراسة الحديث ، عفيفاً مطيعاً سليم النفس ، حتى اذا تم له
الحفظ أخذ يحدث عن بعض الصحابة واعلام التابعين ويروي عنهم :
فيحدث عن عبدالله بن جعفر وعن أنس وابي بكر بن عبد الرحمن
وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود . وقد روى عمر عن ابن
عتبة هذا اكثر مما روى عن جميع الناس ٤١

ولم يكن يضا هي ابن عتبة عند عمر غير القاسم بن محمد بن ابي
بكر ، أحد الثلاثة الذين ولدوا من فتيات فسادوا اهل الارض
عبادة وزهداً ، وصاروا في زمانهم زينة الدنيا ، ففتنوا اهل
المدينة بالزواج من الفتيات بعد ان كانوا عنهن واغبيين ٤٢ وهم
القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله وعلي بن الحسين زين العابدين .
أما ابن عتبة فقد أحبه عمر وآثره ، وجعل يختلف الى مجلسه
كثيراً اذ كان مجراً من مجور العلم ٤٣ ذا رأي وفقه وعفة ووقار ،

(٣٩) ابن الجوزي ص ٣٣ ، ١٧٤

(٤٠) شذرات الذهب ج ١ ص ١١٩

(٤١) ابن الجوزي ص ٨

(٤٢) زين العابدين ص ٤٦

(٤٣) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٧

وكان يمنح العلم لتلاميذه كما يريد فان أحب أذن لهم فدخلوا عليه وجلسوا ، وان لم يحب تفرقوا ورجعوا . وعمر نفسه كان مع ابن عتبة واحداً من هؤلاء التلاميذ ، يذهب اليه مرة فيأذن له ويعلمه ، ويذهب اليه أخرى فيرده ولا يأذن له ، ويرجع عمر عن ابن عتبة راضياً اذا رده كما لو أذن له ٤٤

ولقد خفَّ ابن عتبة على قلب عمر وصار يملأ عليه نفسه وزمانه ، وسيطر عليه سيطرة قوية وثبتت صورته في خاطره ثم لم تزل ابداً . وصار يراد في مخيلته نائماً ويقظان . وما كان الخطب يصيب عمر حتى يرى ابن عتبة في منامه او صحوه يوصيه ويعظه . ولقد قال لامرأته ذات مرة : فوالله يا فاطمة ما أكاد اغضب الا كأني انظر الى عبدالله قائماً يخاطبني ٤٥ ، ولم يكن ذلك من عمر الا لانه ألف ابن عتبة وصبغت روحه به ، ونزعت عروقه اليه ، ثم اوشك عمر ان يكون كابن عتبة ، ورشيكاً سيكون .

ثم روى عمر الحديث عن خاله عبدالله بن عمر وعن عبد العزيز ابيه وعن عمر بن ابي سلمة والسائب ويوسف بن عبدالله بن سلام وعبادة بن الصامت وتميم الداري والمغيرة بن شعبة . ثم روى عن عائشة وام هاني ، وخولة بنت الحكم ، ثم روى عن سعيد بن المسيب وعبدالله بن ابراهيم بن قارظ وعروة بن الزبير وعامر بن سعد بن ابي وقاص وابي بردة ، وعن عراق بن مالك والزهرى ومحمد بن كعب وبمطور الحبشي وابي حازم ، وعن خلق غير

(٤٤) ابن الجوزي ص ٩ - صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٧

(٤٥) ابن الجوزي ص ٢٤٩

هؤلاء كثير ٤٦

أسند عمر الحديث ورواه عن جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين ، ثم لم يلبث ان اشتغل عن الرواية فقلّ حديثه ، ولكنه كان قد بلغ مبلغاً كبيراً من العلم بالسنن ، وصار ثباتاً حجة حافظاً ، يرى ويستنبط ، بالغاً مرتبة الاجتهاد ، وأقبل عليه كثير من الفقهاء يأخذون عنه ٤٧ ، وعاد اليه بعض الذين أخذ منهم يأخذون منه ٤٨ ، حتى اذا ذهب الى الشام بعد جعل الفقهاء من اهلها واهل الحجاز يستفتونه فيفتيهم ٤٩ ، بل كان كل من ظنّه محتاجاً الى العلم فامتحنه وآه مستغنياً ، حتى قال ميمون بن مهران أحد اصحابه : أتينا عمر فظننا انه يحتاج الينا فاذا نحن تلاميذه ! ٥٠ .

فاطمة بنت عبد الملك

فلما استوى شبابه تآقت نفسه الى مصاهرة عمه عبد الملك والزواج من ابنته فاطمة ٥١ ، وتآقت نفس عبد الملك الى مصاهرة عمر وتزويجه ابنته . فلما أذن القدر وحن الموعد ، وكان عمر في زورة لعبد الملك بالشام ، وهو في العشرين او دونها ، لم يتردد الخليفة ان يعرض عليه الزواج من ابنته ، فقبل عمر ووفى لعمه جزاء ما اكثر له من بره ، وما اغدق عليه من هباته .

(٤٦) ابن الجوزي ص ١٢ - صفة الصفوة ج ٢ ص ٧١

(٤٧) حياة الحيوان ج ١ ص ٦٨

(٤٨) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٢

(٤٩) ابن الجوزي ص ٢٨

(٥٠) ابن الجوزي ص ٢٧

(٥١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦١

قال عبد الملك لعمر وهو يزوره : قد زوجك أمير المؤمنين بنته فاطمة . فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد اجزلت وكفيت ! فسر عبد الملك وأعجب برده وجوابه وأبدى له استحسانه . وثار الحسد في بعض اولاده فقالوا له : هذا كلام تعلمه فأداه!

ولم يرَ عبد الملك بدأً من ان ينتهز فرصة المفاجأة ليظهر اولاده على ذكاه عمر ويحمد غضبهم عليه ، وظل يتروقب حتى دخل عليه عمر يوماً وعنده اولاده فقال : يا عمر ، كم نفقتك ؟ فقال عمر : الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين . قال : ما هي ؟ قال : «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما .» فقال عبد الملك لأولاده : من علمه هذا ؟ ٥٢

القطائع

رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : جعل رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجة رماحها ما لم يزرعوا فاذا زرعوا كانوا من الناس ٥٣ . فلما فتح العرب الفتوح والبلدان لم يؤذن لهم بأن يملكوا الأرض ويزرعوها وانما ترك ذلك لأهل الذمة أو لمن يُسلم منهم ويؤد أن يظل زارعا .

واختلف الرواة في اول من اقطع العرب ارضاً من الرؤساء . فقيل إن رسول الله اقطع علي بن ابي طالب بئر قيس والشجرة ، ثم اقطع ابو بكر الزبير ما بين الجرف الى قناة ، ثم اقطع عمر بن

(٥٢) ابن الجوزي ص ٢٧

(٥٣) الخراج للقرشي ص ٨١

الخطاب خمسةً من اصحاب رسول الله : سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود وخباب بن الأرتّ واسامة بن زيد والزبير بن العوام ، ثم باع اسامة ارضه . وكذلك اقطع عمر علي بن ابي طالب ينبع . وقالوا اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ارضاً ، فلما كان عمر بن الخطاب ترك في يد الرجل من الأرض ما يعمره واقطع بقيتها غيره ٥٤ .

وقالوا : اول من اقطع الارض عمر بن الخطاب ، فإنه اصفى اموال كسرى وآل كسرى وكل من فرّ عن ارضه او قتل في المعركة ، وكل مغيض ماء او اجمة ، فكان عمر بن الخطاب يُقَطِّع من هذه لمن اقطع ، وذلك بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا في يد وارث ٥٥ . وكان فيمن اقطعهم عمر رجل يقال له ابن سندر ، اقطعه عمر « منية الأصبع » ولم يقطع عمر احداً من الناس من ارض مصر الا ابن سندر ، فلم تزل له حتى مات فاشترها الأصبع ابن عبد العزيز من ورثته فسميت باسمه ٥٦ . وقالوا انه ليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا افضل . وكان سبب ذلك انه كان لزنباع الجذامي غلام نصراني يقال له سندر فوجده زنباع يقبل جارية له فحببه وقطع اذنيه وانفه ، فأتى سندر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى زنباع فقال : « لا تحملوهم ما لا تطيقون ،

(٥٤) الخراج للقرشي ص ٧٧ ، ٧٨ ، والجرف وقاة مكانان قرب المدينة (٥٥) يرى ابو يوسف صاحب الخراج ان للامام العدل ان يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الاسلام ويضع ذلك في موضعه ولا يجازي به : الخراج لابن يوسف ص ٥٧

(٥٦) منية الأصبع في شرقي مصر : معجم البلدان ج ٨ ص ١٨٨

واطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، فإن رضيتم فأمسكوا ، وإن كرهتموهم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، ومن مثله أو احرق بالنار فهو حر وهو مولى الله ورسوله . فاعتق سندر واسلم ، ولكنه لم ير نفسه نفعاً ولا قدرة ، فقال أوصي بي يا رسول الله ، قال : « أوصي بك كل مسلم ! » واقام سندر عند رسول الله يرفق به . فلما اشتد مرض رسول الله قال له سندر : يا رسول الله إنا كما ترى فمن لنا بعدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اوصي بك كل مؤمن !

فلما توفي رسول الله أتى سندر إلى أبي بكر فقال : احفظ في وصية النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلاه أبو بكر حتى توفي ، ثم أتى عمر بن الخطاب فقال له : احفظ في وصية رسول الله ، فقال : نعم إن رضيته إن تقوم عندي أجريت عليك ما كان يُجرى عليك أبو بكر ، وإلا فانظر أي المواضع اكتب لك . فقال سندر : مصر ، فإنها أرض ريف ، فكتب له إلى عمرو بن العاص : احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم على عمرو أقطع له أرضاً واسعة وداراً ، فجعل سندر يعيش فيها ، فلما مات قبضت في مال الله^{٥٧}

أما قطائع عمر في الشام فكانت لأجناد المسلمين حين عسكروا في مرج برداء ما بين المزة ومرج شعبان^{٥٨} جنبتي برداء وكانت مروجاً مباحة لأهل دمشق وقرائها ليست لأحد

(٥٧) فتوح مصر وأخبارها ص ١٣٧

(٥٨) شعبان بطن من القحطانية .

منهم ، فأقاموا بها حتى اوطأ الله المشركين ذلاً وقهراً ، واحيا كل قوم محلتهم وهياوا فيها بناء ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب فأمضاه لهم ، فبنوا الدور ونصبوا الشجر ، ثم امضاه عثمان ومن بعده ٥٩

هكذا قيل . ولكن قوماً آخرين ينكرون ان يكون عمر ابن الخطاب قد اقطع وقالوا : لم يُقَطِّع ابو بكر ولا عمر ولا علي ، وقالوا اول من اقطع القطائع عثمان بن عفان وبيعت الأرضون . وكان بدء ذلك حين هزم الله الروم وهربوا عما في ايديهم من المزارع ، فصارت تلك المزارع والقرى صافيةً للمسلمين موقوفة ، يقبلها ٦٠ والى المسلمين وتدخل قبالتها بيت المال فتخرج زنته مع ما يخرج من الخراج .

ثم كتب معاوية في امرته على الشام إلى عثمان إن الذي اجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بمؤون من يقدم عليه من وفود الأجناد ورسل امرائهم ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ، ووصف معاوية في كتابه المزارع الصافية بالشام وسمّاها له ، وسأله ان يقطعه اياها ليقوى بها على ما وصف له ، وانها ليست من قرى اهل الزمة ولا الخراج . فكتب اليه عثمان بذلك كتاباً . قالوا : فلم تزل بيد معاوية حتى قتل عثمان وافضى الى معاوية الأمر ، فأقرّها على حالها ثم جعلها من بعده حبساً على فقراء اهل بيته والمسلمين .

(٥٩) تاريخ مدينة دمشق المجلد الأول ص ٥٩٣-٥٩٧

(٦٠) النقييل : الكفالة والضمان .

قالوا : ثم ان اناساً من قريش واشراف العرب سألوا معاوية ان يُقْطِعَهُمْ من بقايا تلك المزارع التي لم يكن عثمان اقطعها اياها ففعل ، فمضت لهم اموالاً يبيعون ويمهرون ويورثون . ثم انتقل معاوية من إقطاع الأرض الى إقطاع القرى والدور ، ولكنه لم يمض الأمر كله اذ ثار الناس وتكلموا فرجع عما نوى .

قالوا : اقطع ابنه يزيد بن معاوية قرية من قرى الفيوم بمصر ، فأعظم الناس ذلك وتكلموا فيه ، فلما بلغه ذلك رهب قاله الناس فردت تلك القرية الى الخراج كما كانت للمسلمين ، وكان معاوية كالجمل الطنّي^{٦١} يقدم رجلاً وبؤخر اخرى ، يرمي بالكلمة فان ذلت العرب امضاها وان انكروها لم يمضها^{٦٢}

فلما افضى الأمر الى عبد الملك بن مروان - وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية اقطعها احداً - سأل اشراف الناس القطائع منها ففعل حتى لم يبق منها شيء . ثم نظر عبد الملك الى ارض من ارض الخراج وقد باد اهلها ولم يتروكوا عقباً فأقطع الأشراف منها ، ورفع ما كان عليها من خراجها ، وراه جائزاً له مثل إخراجها للجوائز للخلافة من بيت المال .

ثم سأل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من ارض القرى التي بأيدي أهل الذمة - وكانت تعد ارضاً للمسلمين ولكنها دفعت الى أهل الذمة على ان يأكلوا منها ويؤدوا خراجها وليس لهم بيعها ولا لأحد ان يشتري منها - فأبى ذلك عليهم هؤلاء

(٦١) الطي بالضم وتضعيف الطاء والنون والياء : الجسيم .

(٦٢) فتوح مصر وأخبارها ص ١٠١

الخلفاء ، فعاد الناس يسألونهم أن يأذنوا لهم في شرمي الارضين من اهل الذمة فأذنوا لهم . ومن ثمّ صارت الارض والقرى والدور دولةً بين الناس .

وقد استحل بنو أمية الصوافي وشراءها وسبكتهاها ، ولكنّ بني هاشم حرّموها . قال سفيان الثوري : ان كانت لبني أمية حلالاً فهي على بني هاشم حرام ، وان كانت على بني أمية حراماً فهي على بني هاشم أحرم وأحرم .

قطائع عمر

اما عمر بن عبد العزيز فلما صار له ان يتصرف في ماله ويتزوج ، فقد وهب له بنو أمية - غير ما ورث من ابيه واهل بيته - هبات كثيرة ، وضياعاً منتشرة غنية في كل الآفاق : صارت له ارض يغلها في الحجاز والشام وفي مصر واليمن والبحرين ، ونزل له بعض الخلفاء عن حقه في قطائع غنية ذات غلات ، وقبل عمر ابن عبد العزيز ما اعطوه راضياً مبتهجاً لم يردّه مهنها كان مأتاه : من مواريث او من مظالم ، فليس عليه هو من ذنب - كما ظن - وانما هو رجل يوهب له ، فان كان هناك من ذنب فانما هو على غيره من آباءه واجداده . لم يردّ عمر شيئاً مما اهدي اليه ، بل لم يسأل عن اصله ومأتاه ، حتى صار له من الغنى والثروة ما ليس لغيره من كثير من الأمراء .

صارت له السريداء وخيبر وفدك بالحجاز ، وصارت له المكيدس وجبل الورس باليمن ، وصارت له بداء وجزين ٦٣ من

(٦٣) هكذا في تاريخ دمشق ص ٥٩٨ . وابلها حزين (بالخاء) لأن التي بالجيم ليست من أرض بعلبك وإنما من أرض صيداء . وكذلك بدا .

ارض بعلبك بالشام ، وصارت له قطائع متفرقة في مصر واليامة
والبحرين ، وكان لبعض هذه القطائع سجلات ، وبعضها ليس له
سجل . كانت اكثر من ان يحصيها عمر او يراها ، وقد وفد
عليه منها دخلٌ ضخيم من المال قدره بأربعين الف دينار فقد
عليه من غلتها كل عام .

إمرة خناصرة^{٦٤}

ولما جاوز عمر العشرين من عمره وراه عبد الملك قد بلغ من
الملكاة في العلم والاجتهاد والجاه ورفعة الشأن ما يجعله جديراً
بامرة الناس رأى ان ينصبه والياً على إقليم قريب صغير ليتعلم
ويجرب ويزداد خبرة ودراية . وكان عبدالعزيز بن مروان قد
مات وصارت ولاية العهد الى الوليد وسليمان ، ولم يصر لأبناء عبد
العزیز وراثه في الخلافة ، فأراد عبد الملك ان يمسخ عن عمر حزنه
على أبيه ويرضيه بعد إقصاء عرقه ، فولاه خناصرة سنة خمس
وثمانين ، فأقام بها عمر والياً حتى مات عبد الملك واستخلف الوليد ،
فأرسل اليه الوليد بامرة المدينة بعد ان خلع عنها هشام بن اسماعيل^{٦٥} .

(٦٤) خناصرة بليدة من اعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية ذكرها

الجعدي وابن الرقاع والثني وجران العود في اشعارهم وفيها يقول المتنبي :

احب حمصاً الى خناصرة

وكل نفس تحب حياها

حيث التقى خدها ونفاح له

ان وثغري على حياها

وصفت فيها مصيف بادية

ان اعدت روضة رعيها

او ذكرت حلة غزونها

معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٧

(٦٥) زين العابدين ص ٧٦